

الأسطورة في الشعر العربي المعاصر
دكتور / جمال فودة
عضو الاتحاد العالمي للغة العربية
كاتب وناقد من مصر

* يعد الموروث الأسطوري مورداً لا ينضب لإنتاج الدلالة وتشكيل ملامح التجربة، وتجسيد أبعاد الرؤية في الشعر المعاصر؛ إذ من خلاله يعبر الشاعر عن رؤية واقعية وخيالية، رؤية تمحو الحدود بين الزمان والمكان، وتعكس أبعاد الواقع السابق لمبادئ العقل، في محاولة للربط بين الداخلي والخارجي، بين المادي والمعنوي، بين الذات والموضوع.

فالأسطورة ما هي إلا " قناع يجر وراءه تداعيات تاريخية متداخلة ومعقدة، وليست مجرد حلقة تلقى على القصيدة كرداء خارجي، إنها تلتحم مع بنية القصيدة، وتثير نكهة تاريخية لا تستطيعها المفردات العادية، وتتمدد داخل القصيدة وتخلق جواً أسطورياً يشكل بنية القصيدة، فالأسطورة تخلق القصيدة، والقصيدة تحيي الأسطورة في جدلية لا يمكن الفصل فيها بين القصيدة والأسطورة ". (1)

ومن أشهر الأساطير في الشعر العربي المعاصر بصفة عامة أسطورة " إيزيس وأوزوريس " والشاعر إذ يستدعي أحداث هذه الأسطورة يتمثل الإيحاءات الرمزية والدلالية المرتبطة بها، ويستقى من معينها الثر ما يتلاءم وسياق تجربته التي تتشكل في بنية لغوية / فنية لا نلث أن نستكشف لها أبعاداً فكرية ودلالات نفسية. يقول حسن فتح الباب في " أغنية حزينة إلى عبد الناصر ":

عاد أوزوريس ميتاً
عاد أشلاء علي كل طريق
أه إيزيس التي لم تنتحب
منذ ملايين السنين
ونراك اليوم تبكين بدمع الفقراء
وتشقين جلود التعساء ...
أه إيزيس التي لم تنتحب
منذ ملايين السنين
دقة الساعة تنعي السادسة
والنجوم إنتثرت ملء الشوارع
قلب مصر أخضر ما زال ..
أم أصبح قرصاً يحترق
ورماداً غاص في الأرض و و اراه الشفق
أه إيزيس التي تخفق ماءً و تراباً و دما
أقفر الوادي ... (2)

لقد استلهم الشاعر روح الأسطورة في إطارها الذي يدور حول دلالات " العطاء والفداء والتضحية (أوزوريس) ، والإخلاص والولاء والوفاء للزوج والوطن " إيزيس " (3) متخذاً أوزوريس رمزاً للزعيم الراحل " عبد الناصر" الذي كانت له سمات المصري القديم ، وكانت جنازته مثل موكب تشييع فراعنة مصر في الزمن القديم ، إذ أقبل الناس بقضهم وقضيضهم ، وأوشكت السماء أن تقع على الأرض من هول الزحام والنحيب والصراخ الذي صدر عن القلوب المحترقة التي خرجت لتلقى نظرة على جثمان الفقيد ، وعادت بقلوب تفيض بالخوف من المستقبل إذ رحل القائد الذي طالما جمع الشمل إلى غير رجعة .

كما اتخذ الشاعر " إيزيس " رمزاً لمصر وأبنائها، فتحول النص الشعري إلى خطاب إيزيس لعلها تُبعث، فتحقق معجزة لملمة الأشلاء، وبعث جسد الزعيم المسجي تحت علم الوطن، الذي كم ذاب فيه عشقاً ودافع عن تاريخه وكرامة أهله، وها هو يوارى في ترابه بعد أن أدى رسالته، وجنحت شمسها إلى الغروب حيث مدينة الموتى.

وهكذا استغل الشاعر إichاءات هذه الأسطورة ودلالاتها الرمزية في تجاوبها مع الشعور العام لتضفي على تجربته الشعرية ثراءً فنياً / نفسياً، من خلال رؤية " تعكف على تشكيل خارطة للإنسان / الإنسانية نافية حدود الزمان والمكان، حيث يتجاوز الماضي والحاضر، والسابق واللاحق، إذ تتحول الأسطورة عن مادتها الغفل في كينونتها الحكائية، لتصبح أداة تعبيرية ذات وظيفة فنية، ومن ثم يتزاوج الواقع واللا واقع، ويتوأم الخيال والحقيقة " . (4)

1. عبد الحميد إبراهيم : نقاد الحداثة وموت القارئ - مطبوعات نادي القصم الأدبي - السعودية - 1994 م - ص 111

2. الأعمال الكاملة : المجلد الأول / 353 ، 354

3. مصطفى رجب : لغة الشعر الحديث / 297

4. رجاء عيد : القول الشعري / 13